القرآن
منهج حياة

الطبعة الثانية

1448 هـ/2026 م

محمد إبراهيم الخلف

مكتبة الأمة، ١٤٢١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الخلف، محمد إبراهيم
القرآن منهج حياة / محمد إبراهيم الخلف، عنيزة، ١٤٣٨ هـ.
ص37 ؛ 24*17 سم
ردمك: 4-784-38-9960
1 - الوعظ والإرشاد 2- القرآن مباحث عامة
أ. العنوان
ديوي ٢١٣ 21/5018

الطبعة الثانية
1448 هـ
رقم الإيداع: 21/5018 ردمك: 4-784-38-9960

مكتبة الأمة
السعودية - القصيم – عنيزة
m444130@gmail.com
+ 9665551488306

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

[سورة المائدة: آية ٤٨]

قال الإمام الطبري:

«لكل أمة منكم جعلنا شريعة يعملون بها وطريقاً بيناً واضحاً يسلكونه».

قال الشيخ السعدي في تفسيره:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيها الأمم ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أي سبيلاً وسنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة بين يدي الكتاب..

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد:

فإن هاجس كل مسلم - أحب الخير لنفسه وللمسلمين - أن يرى عباداته ومعاملاته وسلوكه وأخلاقه مستضيئةً ومهتديةً بنور الكتاب والسنة.

وألا يقف عند تلاوته وحفظ آياته، بل يتعدى ذلك إلى ترجمة المعاني إلى أقوال وأعمال ومعاملات في مختلف ميادين الحياة: في المسجد والبيت والعمل والشارع والمدرسة و.....

ولعل هذه الرسالة، على قصرها، مساهمة وتذكرة لكاتبها ولمن قرأها من إخوانه، ووسيلة قياس وتقويم لحال كل واحد منا مع كتاب الله تعالى، وأثره في واقع حياته؛ وبالتالي نتدارك ما بقي من أعمارنا ونتخلق بأخلاق قرآننا وما جاء في سنة نبينا، عليه أفضل

الصلاة والتسليم، الذي كان خُلُقُهُ القرآن كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت عن خُلُق النبي ﷺ فقالت "كان خُلُقُهُ القرآن" أخرجه مسلم في صحيحه.

والله أسأل لي وللمسلمين الاستقامة على دينه والثبات عليه حتى الممات، وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص في القول والعمل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

محمد الخلف

15 / 1 / 1448 هـ
30 / 6 / 2026 م
m444130@gmail.com

حالنا اليوم مع القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب العالمين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالكتاب المبين، الفارق بين الهُدى والضلال، والغي والرشاد، والشك واليقين.

أنزله لنقرأه تدبراً، ونتأمله تبصراً ونسعد به تذكراً، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه ونُصدِّق به ونجتهد في إقامة أوامره ونواهيه[1].

كثيرون يقرؤون القرآن، فلا تجد له تأثيرًا في سلوكهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، حتى إنك لترى بعض هؤلاء في أخلاقه سوء، وفي معاملاته غلظة وبشاعة مع أهله وجيرانه ومع الآخرين، فما والله هذه الأخلاق التي يحسن أن يتحلى بها المسلم القارئ المتدبر لكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، فأين أثره في النفوس؟

---

[1] كتاب الروح لابن القيم.

إن ما يحدث في بلاد المسلمين اليوم من مصائب وفتن وزلازل ومحن ما هو إلا بسبب بعدنا عن كتاب ربنا، وعدم التحاكم إليه، والعمل بما فيه؛ وإلا فالقرآن كتاب عظيم يربي النفوس، ويصنع الأمم ويبني الحضارات، فهو نور أنزله الله لنؤمن به وننتفع ونعمل بما جاء فيه؛ لنخرج من الظلمات إلى النور.

فالعيب إذًا في أبصارنا التي لم تر النور؛ لأنها مغلقة عن هدي القرآن ونوره وفضله الذي جعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في هذا الكتاب العزيز:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1].

إلا من رحمه الله ممن هم ظاهرون ومتمسكون بالحق كما أخبر بذلك نبينا محمد ﷺ

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» الحديث: متفق عليه.

قال ابن القيم رحمه الله في كتاب الفوائد:

---

[1] سورة الإسراء، الآية 9 .

«لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ عرض لهم من ذلك فساد في فِطَرِهِم وظُلمة في قلوبهم وكدر في أفهامهم ومحق في عقولهم،

وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتى رُبِيَ فيها الصغير، وهِرِمَ عليها الكبير، فلم يروها منكراً فجاءتهم دولة أخرى قامت فيها البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم، والرياء مقام الإخلاص، والباطل مقام الحق، والكذب مقام الصدق، والمداهنة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل، فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور، وأهلها هم المشار إليهم، وكانت قبل ذلك لأضدادها، وكان أهلها هم المشار إليهم»[1]

[1] كتاب الفوائد لابن القيم (ج ١ ص ٥٥).

هذه صورة لحال الناس الذين عاصرهم ابن القيم في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، فلو وقف على أحوالنا ماذا عساه أن يقول؟!

إن الأمر جدُّ خطير، ويحتاج منا إلى وقفات تأمل في سلوكنا ومعاملاتنا وعباداتنا بصفة عامة، وأن نعرضها ونزنها بميزان القرآن الكريم، وبعد التأمل، لابد من محاسبة النفس وحملها على الانقياد التام لكتاب الله العظيم وسنة أفضل المرسلين، ولكي نحقق ذلك علينا أن نتفهم الحِكَم من نزول القرآن الكريم - التي إن استحضرناها وأخذنا بها صلحت أمور ديننا ودنيانا - ويمكن أن نجملها في:

المطالب الخمسة التالية:

1) تلاوته كما أنزل.

2) تدبر آياته.

3) العمل به.

4) الصبر على ما فيه.

5) الدعوة إلى تحكيمه.

المطلب الأول

تلاوته كما أنزل

القرآن كلام الله المعجز المنزَّل على نبينا محمد ﷺ، ليُتعبد بتلاوته، ولتُفهم معانيه، وليُعمل بما جاء فيه. وحتى يتمكن الإنسان من العمل بالقرآن، فلابد له من تلاوته وفهمه[1]

ولقد أثنى الله - سبحانه وتعالى - ونبيه محمد ﷺ على من يتلون كتاب الله ومن ذلك قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[2]

وعن ابن عباس رضى اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ :

«إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[3]

---

[1] من مقدمة شرح أصول التفسير ت د. عبد الله الطيار.

[2] سورة فاطر، الآيات ٢٩-٣٠.

[3] رواه أحمد والدارمي والترمذي وقال حسن صحيح.

وعن عثمان بن عفان رضي اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ :

«أفضلكم - أو خيركم - من تعلم القرآن وعلمه»[1]

وعن عائشة رضى اللهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال:

«مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد، فله أجران»[2]

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة فلتراجع في مظانها؛ لتنشط النفوس وترغب في المداومة على تلاوة كتاب الله تعالى.

وبعد أن وقفنا على هذه النصوص المرغبة والحاثة على تلاوة كتاب الله تعالى - على أكمل وجه - حَرِيٌّ بنا أن نجتهد في تعلم التلاوة وإتقانها، وإن من العيب أن نقصر ونتكاسل عن تعلم تلاوته - في الوقت الذي نجتهد فيه لتعلم أمور دنيوية - وخاصة أن وسائل التعليم متنوعة في هذا العصر - ولله الحمد - من وسائل التواصل الاجتماعي والتطبيقات الخاصة بالمصاحف لمعظم القراء وإذاعات القرآن الكريم، هذا لمن لا تمكنه ظروفه من الجلوس مع مجيد للتلاوة ليتعلم على يديه.

---

[1] أخرجه البخاري في فضائل القرآن وغيره من أئمة الحديث.

[2] أخرجه البخاري في كتاب التفسير.

المطلب الثاني

تدبر آياته

قال الله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾.[1]

وقال عمرو بن مُرَّة: أكره أن أمُر بمثل في القرآن فلا أعرفه؛ لأن الله تعالى يقول:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾.[2]

وكان ابن عمر رضي اللهُ عَنْهُ إذا قرأ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾[3] يبكي حتى يغلبه البكاء [4].

---

[1] سورة النساء، الآية ٨٢.

[2] سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

[3] سورة الحديد، الآية ١٦.

[4] حلية الأولياء ١ / ٣٠٥.

قال ابن القيم الجوزية رحمه الله: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[1] [2]

قال ابن القيم رحمه الله:

لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بتدبر وتفكر.

وبالجملة، فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فإنه لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله.

وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فإذا علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر اشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى إذا ما مر بآية - وهو

---

[1] الفوائد (١٢١-١٢٢).

[2] سورة ق، الآية ٣٧.

محتاج إليها في شفاء قلبه - كررها ولو لِمِئَة مرة، ولو أمضى بها ليله فقراءة آية بتفكر خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وتذوق حلاوة القرآن.

هذه كانت عادة السلف؛ يردد أحدهم الآية إلى الصباح.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يرددها حتى الصباح وهي قوله:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]

فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب؛ ولهذا قال ابن مسعود: «لا تهذوا القرآن هَذَّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، لا يكن هم أحدكم آخر السورة».

وروى أبو أيوب عن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاث قال: "لأن أقرأ سورة من القرآن في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كما تقرأ".

---

[1] سورة المائدة، الآية ١١٨.

والتفكر بالقرآن نوعان :

تفكر فيه ليقع على مراد الرب تعالى منه، وتفكر في معاني ما دعا عباده إلى التفكر فيه:

- فالأول: تفكر في الدليل القرآني.
- أما الثاني: فتفكر بالدليل العياني .

فالأول تفكر في آياته المسموعة، أما الثاني فتفكر في آياته المشهودة، ولهذا أنزل الله القرآن ليُتدبر ويُتفكر فيه ويُعمل به، لا لمجرد تلاوته مع الإعراض عنه.

قال الحسن البصري:

«أُنزل القرآن ليُعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً»[1].

[1] مفتاح دار السعادة (ج ١ ص ٣٣٩).

المطلب الثالث

العمل به

قال تعالى:

﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[1]

وقال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[2]

وقال تعالى:

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[3]

وقال تعالى:

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[4]

---

[1] سورة البقرة، الآية ٤٥.

[2] سورة الأعراف الآية ١٧٠.

[3] سورة الزمر، الآية ٥٥.

[4] سورة الأعراف، الآية 3.

قال ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾[1]

والمعنى: يتبعون كتاب الله حق اتباعه. وقال تعالى:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[2]

﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[3]

فحقيقة التلاوة في هذه المواضع هي التلاوة المطلقة التامة وهي تلاوة اللفظ والمعنى، فتلاوة اللفظ جزء من مسمى التلاوة المطلقة، وحقيقة اللفظ إنما هي الاتباع. يقال اتل أثر فلان وتلوت أثره وقفوته وقصصته بمعنى تبعت خلفه.

---

[1] سورة البقرة، الآية ١٢١.

[2] سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

[3] سورة النمل، الآيات ٩٢-٩١

ومنه قوله تعالى:

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۞ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾[1]

أي تبعها في الطلوع بعد غيبتها، إلى أن قال: المقصود التلاوة الحقيقية، وهي تلاوة المعنى واتباعه تصديقاً بخبره وائتماراً بأمره وانتهاء بنهيه وائتماماً به، حيثما قادك انقدت معه . فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه ومعناه . وتلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة اللفظ ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء في الدنيا والآخرة، فإنهم أهل تلاوة ومتابعة حقا. انتهى كلامه.[2]

انظر أخي المؤمن في سيرة سلفنا الصالح ومدى تجاوبهم وانقيادهم لكتاب الله تعالى، لتقف على أثر القرآن العظيم في قلوبهم وعلى سلوكهم وواقع حياتهم.

---

[1] سورة الشمس، الآيات ١-٢.

[2] مفتاح دار السعادة (ج 1 ص 84).

ولعلي أنقل إليك إحدى هذه الصور والنماذج لأبي الدحداح رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، أحد أصحاب النبي ﷺ، التي ساقها الإمام القرطبي في تفسيره وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَـٰفًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]

لما نزلت هذه الآية بادر أبو الدحداح إلى التصدق بماله ابتغاء ثواب ربه قال زيد بن أسلم: لما نزل: «من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنا» قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله ! إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: نعم يريد أن يدخلكم الجنة به، قال: فإني إن أقرضت ربي قرضًا يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة ؟ قال: نعم. قال: فناولني يدك، فناوله رسول الله ﷺ يده فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضاً لله تعالى، قال رسول الله ﷺ : اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك، قال: فأشهدك يا رسول الله أني قد جعلت خيرهما لله

[1] سورة البقرة، الآية ٢٤٥.

تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة، قال: إذاً يجزيك الله به الجنة، فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول:

هداك ربي سبل الرشاد ... إلى سبيل الخير والسداد
بيني من الحائط بالوداد ... فقد مضى قرضا إلى التناد
أقرضته الله على اعتمادي ... بالطوع لا من ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف في المعاد ... فارتحلي بالنفس والأولاد
والبر لا شك خير زاد ... قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح: ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشرك الله بخير وفرح ... مثلك أدى ما لديــه ونصـح
قد متع الله عيالي ومنح ... بالعجوة السوداء والزهو البلح
والعبد يسعى وله ما قد كدح ... طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال النبي ﷺ : كم من عذق رداح ودار فياح لأبي الدحداح.[1]

وبعد هذا هلا أخي المسلم سلكنا مسالك سلفنا الصالح، واتخذنا كتاب ربنا منهج حياة، وبادرنا إلى العمل بما فيه من الآيات البينات التي تأمر وتنهى، وترغب وترهب ومن ذلك: قول الله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[2]

فهلا وقفنا عند هذه الآية وحاسبنا أنفسنا في برنا بالوالدين؛ فإن كنا قد أحسنا إليهما حمدنا الله تعالى، وسألناه الإعانة والقبول، وإن كنا قد قصرنا تبنا إلى ربنا، ولزمنا الاستغفار، وأحسنا إليهما وسألناهما الصفح والعفو. وهلا وقفنا عند قول الله تعالى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴾[3]

---

[1] تفسير القرطبي (ج ٣ ص ٢٢٥).

[2] سورة الإسراء، الآية ٢٣.

[3] سورة محمد، الآية ٢٢.

وتأملنا في صلتنا لأرحامنا، هل قمنا بما يجب علينا من الصلة والإحسان والصفح عن الزلات، والتماس الأعذار ؟ أم أننا ممن لا يعرف أرحامه إلا في الملمات، ويقطع عند وجود الزلات، وإن وصل وصل الأغنياء وأصحاب الوجاهات.

وما موقفنا مع إخواننا عن تلاوتنا لقول الله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[1]

هل أحسنا الظن بإخواننا المسلمين وحملنا أقوالهم وأفعالهم على أحسن المحامل وحفظنا ألسنتنا عن الوقيعة في أعراضهم؟ أرجو أن نكون من هؤلاء الذين انتهوا عما نهاهم الله عنه، واتقوا الله في أنفسهم وإخوانهم.

هذه مجرد أمثلة ووقفات عند بعض الآيات أحببت أن أذكر بها نفسي وإخواني لنحاسب أنفسنا قبل الحساب وحلول العقاب.

---

[1] سورة الحجرات، الآية ١٢.

ولعلي أختم القول في هذا الباب بتفسير ابن كثير رحمه الله تعالى لآية الظن هذه حيث قال: يقول تعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن كثير من الظن - وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله - لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، فليجتنب كثير منه احتياطًا. وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا، وأنت تجد لها في الخير محملا» قال مالك: عن ابن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ :

«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» [1]

[1] رواه البخاري.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيام»[1]

وقوله تعالى ﴿وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا﴾[2] فيه نهي عن الغيبة وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة قال:

«قيل يا رسول الله ما الغيبة؟ قال ﷺ : ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»[3]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا قال: غير مسدد تعني قصيرة فقال ﷺ لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت حكيت له إنسانًا فقال ﷺ : ما أحب أني حكيت إنسانا وإن لي كذا وكذا.[4]

---

[1] رواه مسلم.

[2] سورة الحجرات، الآية ١٢.

[3] رواه مسلم.

[4] رواه الترمذي من حديث يحيى القطان وعبد الرحمن.

المطلب الرابع

الصبر على ما فيه

من أوامر ونواهي وتشريعات بدنية ومالية، وحمل النفس والهوى على التسليم لأوامر الله ورسوله، ولا يتأتى هذا للمرء إلا مع المصابرة والمجاهدة - بعد توفيق الله تعالى - واستحضار لذة هذا الصبر التي تتحقق للمرء في دنياه وآخرته قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1]

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً. وهو واجب بإجماع الأمة؛ فهو نصف الإيمان لأن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر. وهو مذكور في القرآن على ستة عشر موضعًا [2].

---

[1] سورة الزمر، الآية ١٠.

[2] مدار السالكين (ج ٢ ص ١٥٢).

ومما يُعلم أن التكاليف الشرعية متفاوتة في حملها على النفوس وحمل النفوس لها؛ فمنها ما يسهل فعله فتنقاد لفعله، ومنها ما يثقل فعله فتتكاسل عنه أو تقصر فيه، وأقرب مثال على ذلك الصلوات الخمس، فصلاة الفجر ليست كصلاة الظهر أو المغرب في انقياد النفس لها - وهذا مشاهد في المساجد - لكن متى ما قويت محبة الله في قلب المسلم، وأخلص لله تعالى واحتسب الأجر والمثوبة سهلت عليه العبادات، بل ووجد اللذة والطمأنينة بأدائها، وهذا ما يؤكده الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى - في معرض كلامه عن أنواع الصبر حيث قال: (الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية صابرًا نفسه معها، سائراً بسيرها مقيمًا بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها. فهذا معنى كونه صابراً مع الله، أي قد جعل نفسه وقفاً على أوامره، ومحابه، فهذا أشد أنواع الصبر وأصعبها، وهو صبر الصديقين)[1].

[1] مدارج السالكين (ج ٢ ص ١٥٢).

قال البيضاوي في تفسيره لآية المصابرة في آل عمران: قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [1] ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ ﴾ على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد.

[1] سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

المطلب الخامس

الدعوة إلى تحكيمه

في جميع شؤون الحياة، والعمل بما فيه، والتأدب والتخلق بأخلاقه التي دعانا إليها، ندعو القريب والبعيد، ونبدأ بأنفسنا نجاهدها في جعله منهج حياة لنا، ونوراً نستضئ به، ونثني بأقرب الناس إلينا.

قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

فكم غافلٍ عن أهل بيته، وعن فلذات كبده فأسند التربية والتعليم إلى وسائل تهدم نعيم الآخرة ولا تبني نعيم الدنيا، يجلبها إليهم تارة، وتارة يجعل الأمر إليهم، فهلا حرصنا على أمور دينهم وتهذيب أخلاقهم وسلوكهم كما نحرص على ملذاتهم الدنيوية بأنواعها، ومسيرتهم التعليمية التي نرجو لهم من ورائها الرزق والرياسة، فأي

[1] سورة التحريم، الآية ٦.

ظلم لأهل بيته أشد من هذا الظلم ؟! ظلم نفسه أولا ؛ حيث لم يقم بواجب الرعاية التي كلفه الله بها، وحرم نفسه من ولد صالح يدعو له بعد موته كما جاء ذلك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[1].

ثم ندعو غيرنا من إخواننا المسلمين ، فنشفق على المقصرين منهم، ونتلطف في الأخذ بأيديهم ودعوتهم إلى الانقياد وتحكيم الكتاب والسنة في واقع حياتهم جملة وتفصيلاً؛ ممتثلين لقول الله تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [2]

وليعلم أن الدعوة ليست مقصورة على العلماء وطلاب العلم فقط، بل هي وظيفة كل مسلم علم شيئا من الدين. قال رسول الله ﷺ : (بلغوا عني ولو آية)[3]. كل بحسب علمه وإمكاناته، ومن ذلك:

---

[1] أخرجه مسلم.

[2] سورة النحل، الآية ١٢٥ .

[3] أخرجه البخاري.

- دعوة أخ إلى درس أو محاضرة في أحد المساجد.
- إهداء كتيب أو مقطع نافع لأخ أو قريب ليستفيد منه.
- تذكرة وعظة في كلمات مختصرة في اجتماع أسري أو غيره.
- تبليغ فتوى لمن يحتاج إليها.

والأمثلة ولله الحمد أكثر من أن تُحصر في هذه العجالة ومن اتق الله علمه الله، قال تعالى:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[1] .

أما المُعرض عن القرآن:

فقد خسر الدنيا والآخرة - نسأل الله العافية - والآيات التالية تصف حال المُعرض في دنياه وآخرته، قال تعالى:

﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴾[2].

---

[1] سورة البقرة، الآية ٢٨٢

[2] سورة طه، الآية ١٢٤ - ١٢٥.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تكفل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية [1].

وقال القرطبي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ ، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه. وقيل: عما أنزلت من الدلائل. ويُحتمل أن يحمل الذكر على الرسول، لأنه كان منه الذكر . ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ أي عيشاً ضيقاً، وقيل: أعمى عن جهات الخير، لا يهتدي لشيء منها . وقيل : عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه، كالأعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه [2] .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في هذه الآيات ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ وفسرت المعيشة الضنك: بعذاب القبر.

---

[1] الصواعق المرسلة (ج ١ ص ٨٤٥).

[2] تفسير القرطبي (ج ١١ ص ٢٢٩).

والصحيح: أنها في الدنيا، وفي البرزخ . فإن من أعرض عن ذكره الذي أنزله، فله من ضيق الصدر، ونكد العيش، وكثرة الخوف، وشدة الحرص والتعب على الدنيا، والتحسر على فواتها - قبل وبعد حصولها، والآلام فيها - التي في خلال ذلك – ما لا يشعر به القلب، لسكرته، وانغماسه في السكر، فهو لا يصحو ساعة إلا أحس وشعر بهذا الألم، فبادر إلى إزالته بسكر ثان، فهو هكذا مدة حياته، وأي عيشة أضيق من هذه لو كان للقلب شعور ؟!

فقلوب أهل البدع والمعرضين عن القرآن، وأهل الغفلة عن الله وأهل المعاصي في جحيم قبل الجحيم الأكبر، وقلوب الأبرار في نعيم قبل النعيم الكبير ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [1] هذا في دورهم الثلاث، وليس مختصا بالدار الآخرة - وإن كان تمامه وكماله وظهوره: إنما هو في الدار الآخرة - وفي البرزخ دون ذلك[2].

---

[1] سورة الانفطار، الآيات ١٣-١٤.

[2] مدارج السالكين (ص ٤٢١).

والأشد من المعرض من يأكل بالقرآن:

فمن الناس من اتخذ تلاوته وتجويده لآياته حرفة يأكل من ورائها فتارة يقرؤونه على الأموات، وتارة في الحفلات والمناسبات وتارة أخرى في الموالد التي ما أنزل الله بها من سلطان.

فعن أبي سعيد الخدري رضي اللهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«تعلموا القرآن وسلوا الله به الجنة، قبل أن يتعلمه قوم يسألوا به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه لله عَزَّوَجَلَّ»[1].

وعن أبي هريرة رضى اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ :

«من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة : قال سريج في حديثه: يعني ريحها » [2] .

---

[1] رواه البيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الأول رقم الحديث ٢٥٨.

[2] رواه أحمد وغيره.

جعلنا الله وإياكم ممن يتلون كتابه ويعملون بما فيه ابتغاء مرضاته، وأن يرزقنا الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وأن يشرح صدورنا لتلاوة كتابه وتدبر آياته والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه، وأن يثبتنا على ذلك حتى نلقاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ونصلي ونسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المؤلف
15 محرم 1448 هـ
m444130@gmail.com
ومنكم نستفيد ونزيد

المراجع

1) كتاب الروح لابن القيم.
2) حالنا مع القرآن عبد الكريم العلي.
3) كتاب الفوائد لابن القيم.
4) مقدمة شرح أصول التفسير تحقيق د. عبدالله الطيار.
5) حلية الأولياء.
6) مفتاح دار السعادة لابن القيم.
7) تفسير القرطبي.
8) تفسير ابن كثير.
9) مدارج السالكين.
10) الصواعق المرسلة.

الفهرس

- توطئة بين يدي الكتاب.....4
- حالنا اليوم مع القرآن الكريم. 6
- المطلب الأول : تلاوته كما أنزل.....10
- المطلب الثاني : تدبر آياته 12
- المطلب الثالث : العمل به 16
- المطلب الرابع : الصبر على ما فيه 25
- المطلب الخامس : الدعوة إلي تحكيمه. 28
- المراجع 35

إن هاجس كل مسلم - أحب الخير لنفسه وللمسلمين - أن يرى عباداته ومعاملاته وسلوكه وأخلاقه مستضيئة ومهتدية بنور الكتاب والسنة وألا يقف عند تلاوته وحفظ آياته بل يتعدى ذلك إلى ترجمة المعاني إلى أقوال وأعمال ومعاملات في مختلف ميادين الحياة في المسجد والبيت والعمل والجامعة والمدرسة ومع المجتمع بصفة عامة.

ولعل هذه الرسالة على قصرها مساهمة وتذكرة لكاتبها ولمن قرأها من إخوانه ووسيلة قياس وتقويم لحال كل واحد منا مع كتاب الله تعالى وأثره في واقع حياته، وبالتالي نتدارك ما بقي من أعمارنا ونتخلق بأخلاق قرآننا وما جاء في سنة نبينا عليه أفضل الصلاة والتسليم الذي كان خلقه القرآن.

للراغبين في اقتناء النسخة المميزة

وضعنا هذه النسخة بين أيديكم مجانًا، ابتغاء نشر العلم النافع، سائلين اللّه أن يجعل فيها النفع والبركة.

ولمن يرغب في اقتناء إصداراتنا المصممة بعناية، فهي متاحة باللغات العربية والإنجليزية والإندونيسية، ويمكنكم اكتشاف جميع كتبنا وإصداراتنا عبر الموقع من خلال رمز QR أدناه.

اكتشفوا إصداراتنا وتابعوا جديدنا